

من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ)
في نهج البلاغة،
دراسة تحليلية

The Place of Prophet Mohammed
(Pbuh) in Nahj Al-Balaghah

أ. د. سالم يعقوب يوسف السلمي
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية

Prof. Dr. Salim Yacoob Yousif Alsulami
University of Basrah
College Of Education For Human Sciences

ملخص البحث

يدرس بحثنا الموسوم بـ (من مقامات النبي الأكرم محمد (عليه السلام) في نهج البلاغة، تلك المنزلة والمرتبة العالية في نفس أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، إذ كان (عليه السلام) المثل الأعلى الذي يقتدي به أمير المؤمنين (عليه السلام) ويمده في العزيمة على العمل والتصميم، وسيرته في الحياة، بما كان يهون عليه ما ينزل أو يحل به من المصائب والمحن فتصغر في عينه هذه الأهوال والرزايا، وهو يواجه تلك الفتن بنفس صابرة محتسبة ومطمئنة؛ لأنه يرى أن الإسلام هو الشيء الأساس في حياته، فجاءت خطبه ورسائله وأقواله متضمنة ومذكورة بسيرة المصطفى (عليه السلام) واصفة له في قيادة الحياة، وامتداد بعثته المطهرة في الزمان والمكان.

عالج البحث تلك المقامات التي كانت مشعة في النص الشريف؛ فجاءت هذه الشخصية العظيمة مؤثرة وموصلة لكلامه في نفس المتلقي، وهي من أعظم وسائل الإقناع وأجلها، وتمتد امتداداً واسعاً في كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، ولا يمكن أن يحيط بها بحث، ولذا اقتصر هذا البحث على بعض من جوانب هذه المنزلة والمقامات التي ازدان بها النص الشريف. وانصببت الدراسة على اتباع التحليل اللغوي في إبراز الدلالة عن طريق رصد القرائن اللغوية في نسيج النص وأنساقها، ومحاولة الوقوف على بعض من بلاغته وبيانه.



Abstract

The current research tackles the high esteem with which The prince of Believers (Pbuh) held prophet Mohammed (Pbuh). Prophet Mohammed was the role model and perfect example for Imam Ali from whom he learnt determination and hard work. Prophet Mohammed used to comfort Imam Ali and console him in the times of hardships and crises. Therefore, Imam Ali faced all the difficulties and troubles with patience and composure, having unshaken faith that Islam was the core of his existence. In his sermons and speeches, Imam Ali kept Prophet Mohammed in constant mention, reminding people of the prophet's life and the temporal and spatial trajectory of his sacred mission.

The present paper discusses the important place Prophet Mohammed occupied in these sermons, a place that is marked by its power and nobility. The readers/ listeners of all times and places are most impressed by the way Imam Ali described Prophet Mohammed whose life and works, as elaborated on in Imam Ali's sermons, inspire admiration and reverence. The research focuses on only a few of the references to Prophet Mohammed in Nahj Al-Balaghah since they are too many to cover in one single study.

المقدمة

وفتحه المبين لعباده المؤمنين، وقد

كان هذا نهجه إلى آخر حياته الشريفة مكافحاً ومجاهداً مما يتعرض له الدين الحنيف من الأمت والعوج والزيغ والانحراف مجاهداً بالسيف والكلمة. كان هدفه الذي يصبو إليه هو إعلاء كلمة الله، وطمس كلمة الشيطان، إذ جاء كلامه الشريف من الخطب والكتب والرسائل في جميع منازلاته، ومواقفه مع الآخر تنبض بأساليب البلاغة والبيان العربي، وبأرقى مراتب النظم والتعبير، لما فيها من الرصف والسبك والرصانة والفصاحة.

لقد طُبِعَ كلامه الشريف بطابع غلب عليه تنزيه الله سبحانه وتمجيده وتوحيده، والخوض بشرح العقيدة الحقّة، والشريعة السمحة، والمعارف العالية الدقيقة فيها، واقرن ذلك بذكر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، وبيان مكانته ومنزلته ومقامه الشريف

أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي لا يزداد يقيناً وإيماناً بالله تعالى حتى ولو كشف له الغطاء، ولا ينقص منه قيد شعرة حتى ولو اشتدت في وجهه الخطوب والمصائب، لأن قلبه امتلأ إيماناً، وفاض به على الوجود، فهو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقيقتان لا يعرفهما إلا الله تبارك وتعالى، كما أثر عنه (صلى الله عليه وآله).

وهو يعبد الله تعالى عن بصيرة وكأنه يراه، لذا فقد أفنى ذاته في جنب الله، لا تأخذه فيه لومة لائم، شديد البأس رحيم القلب، عركته المواقف فوقف أمامها جبلاً شامخاً صلباً، تفتت عليه تلك الرزايا والشدائد، فأصبحت رماداً تذرّه الريح، وهو مفرج الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى استقام الإسلام، واشتد عوده في أيام حالكات شديداً حتى جاء نصره



الذي بَوَّاهُ الله سبحانه في الدار الأولى والأخيرة.

أردنا عن طريق كلامه الشريف الذي جاء في النهج المبارك أن نقف على تلك المقامات الشريفة للرسول الأعظم (ﷺ)، وإبراز المستوى الرفيع عند الله سبحانه، وكذلك في نفوس الأمة، ودوره في إصلاح الحياة جمعاء، من طريق مستويات الكلام وسبكه وربطه، والدلالات التي يخرج إليها، والتوصيل المتمثل بوسائل الإقناع، وكذلك أردنا أن نحلل الخطاب الشريف في هذه المقامات الرفيعة.

تنزيه الرسول (ﷺ)، وإظهار منزلته:

كثيراً ما نجد في كلامه الشريف أنه (ﷺ) يتبدى بذكر الله سبحانه من خلال ألفاظ الحمد والثناء، وعبارات التوحيد والتمجيد، والخوض في مسائل العقيدة، ثم يعمد إلى إقران ذلك بتنزيه رسوله

الكريم (ﷺ)، وبيان منزلته ومقامه، وتعدّ هذه مقامات ومفاتيح للكلام يفتتح بها (ﷺ) خطبه؛ لأنها تنبئ عن حقيقة يظهر فيها تعلق نفس الإنسان بخالقه، وأداء شيء من الاستحقاق تجاه خالقه سبحانه، وتجاه صاحب الرسالة الحقّة، وفيها طمأنة للمتلقّي وتحفيز على إقناعه في الإقبال على ما يقوله وتهياة نفسه إلى ذلك، أو أن هذه المنتجات تعرب عمّا سيأتي من مضمون الكلام الذي سوف يلقاه المنتج.

ترى الدراسات الحجاجية أن المتكلم يكون على قدر كاف من الإدراك لحال المتلقّي بما عنده من

تصورات وأفكار، وبما يصدر عنهم من ردود أفعال لأفكار المتكلم، فيحرص على تضمين ذلك في مطالع الكلام ومقدماته، كما جاء في خطبة الإمام (عليه السلام) زين العابدين (عليه السلام) في الجامع الأموي



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

بدمشق في مجلس يزيد، وهو في حالة المرض والنصب والتعب والرزية التي هو فيها، فقد فاجأهم بمقدمة اهتزت لها مشاعرهم، وغيّرت أفكارهم، وكاد الأمر أن ينقلب على يزيد، إذ بدأ خطبته بحمد الله وتنزيهه، وذكر جدّه النبي (ﷺ) والثناء عليه، وذكر ما خصّ الله به أهل بيته الكرام من منزلة وكرامة، وقربى^(١).

وأما في خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد منصرفه من صفين فبدأ خطبته بحمد الله وهو أرجح ما وزن، كما جاء في النص عطف على ذلك شهادته بالوحدانية، شهادة خالصة وصفها بأوصاف تطمئن إليها نفسه، ولكي تكتمل الشهادة قرنّها بالشهادة في الرسالة الحقّة التي بلّغها (ﷺ)، وجهر بها وتحمل من أجلها ما لم يتحمّله الرسل من قبله حتى أظهره على الدين كلّه، وقد آتاه المقام الرفيع، ومنحه الدرجة العالية، وقربّه منه

فجعله حبيباً، فجعل ذكره في الشهادة أمراً مفروضاً لا تتم إلا بذكره، ويعلم أمير المؤمنين (عليه السلام) مكانة رسول الله (ﷺ)، ومنزلته عند الله، إذ إنه يقرن طاعته ومعصيته بطاعة الله تعالى ومعصيته، وهذا ما نهج عليه القرآن الكريم في مواطن عدّة.

وهذه الشهادة ذات قيمة عليا في العقيدة الإسلامية ؛ لأنها عنوان المسلم، وهي التي تميزه من غير المسلم، وهما جملتان أو عبارتان قصيرتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، كما أثر عنه (ﷺ)، قال (عليه السلام) بعد الحمد «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ممتحناً لإخلاصها، مُعتقداً مُصاضهاً... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...»^(٢).

لقد افتتح النص الشريف بهاتين الشهادتين العظيمتين بعد منصرفه من صفين، وهو يقارع المارقين المتشككين الذين لم يثبت في صدورهم الإيمان، إذ

كان إيمانهم على جرف هارٍ.

نجد النص الشريف بعد كل شهادة يسهب في بيان عظمة الخالق، ومهمة الرسول الأعظم (عليه السلام)، والمسؤولية التي انتدب من أجلها، وبيان حالة الواقع المعاش ما قبل البعثة الشريفة وما بعدها، وقد فصل في هذا المقام إظهاراً لعظمة الرسالة المنوطة به، وقد أداها على الوجه الأكمل.

أسند فعل الشهادة إلى نفسه الشريفة في الشهادتين، شهادة التوحيد والرسالة إذعانا وإقراراً منه (عليه السلام) بهما، لأنها أصل كل عملٍ برٍّ، ومبتغى كل خير، وفيهما ارتباط بما يجيء من كلامه الشريف الذي هو تقديس لله سبحانه وتنزيهه وتبجيل لرسوله وأهل بيته (عليهم السلام).

إذ يظهر في ضمير المتكلم لهذا الفعل (أشهد) النسبة القوية الظاهرة والواضحة للعائد على الفعل الذي أقبل على ربه بكل جوارحه، بهاتين

الشهادتين، لأن الثانية مكملة للأولى، ويتجلى في هذا الإضمار العلاقة التي تلتقي بين المتكلم والمخاطب في عملية الكلام «ولئن بدا الإضمار في الظاهر عملاً ينجزه المتكلم بمفرده فإن للمخاطب فيه دوراً محورياً يتمثل في سابق معرفته بالشيء المضمّر»^(٣). وفي هذا الضمير المستتر قرينة معنوية تعمل على نشوء قرينة الارتباط بين الجزأين^(٤).

لقد اقترنت العبودية والرسالة في موضع الشهادة في قوله (عليه السلام) «**واشهد أن محمداً عبده ورسوله**» تشریفاً له (عليه السلام)، وتعظيماً لمقامه الكريم؛ لأن الله سبحانه اصطفاه من عباده المكرمين، وأخذ الميثاق من النبيين، واشهدهم على تصديقه، والإيمان برسالته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ



ﷺ

من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ
الصَّادِعِ...»^(٦).

فالدين المشهور يمثل الرسالة
بكاملها وما يندرج فيها مما هو واقع
ضمنها، فبعدما ذكر العام انتقل إلى
الجزئيات الداخلة فيه.

لقد كانت المهمة المنوطة به (ﷺ)
عظيمة وكبيرة، لذا جاء الاختيار
للفعل (أرسله) مناسباً لأمر الدين
العظيم، والرسالة الإسلامية الخالدة،
وهو يختلف عن الفعل (بعث)، وقد
ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين
البعث والإرسال فالأول أقل شأنًا
يقول «يجوز أن تبعث الرجل إلى
الآخر لحاجة تخصه دونك ودون
المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب
فتقول: بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن
الإرسال لا يكون إلا برسالة وما
يجري مجراها»^(٧).

نجد النص الشريف مكتنزاً
بالمعاني عن طريق التكثيف للعبارات

أَأَقْرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَزْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ
مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

والخوض بالعبودية تكريم له
(ﷺ) وقد وصفه القرآن الكريم
بذلك منها ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا
نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله تعالى
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا
مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ
مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
[الإسراء: ١]، وخصت العبودية في
التنزيل العزيز بالمكان والمقام العالي
للأنبياء (ﷺ) وغيرهم^(٥).

وبعد ذكر الشهادة الثانية أورد
(ﷺ) الحديث مفصلاً عن مبلغ
الرسالة وصاحبها (ﷺ) مبتدئاً
فيها من العام إلى الخاص في قوله
«أَرْسَلَهُ بِالَّذِينَ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ
الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ

التي حصل بها العطف والترادف للأوصاف المتنوعة، كما هو في قوله: «أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضيء اللامع، والأمر الصادق» يذكر الدكتور فخر الدين قباوة في تحليل الأدوات.

(ال و: واو العطف وعدد من حروف الجر): «إنَّ الأداة تتضمن معنى بالقوة وهي منفردة، وأن هذا المعنى لا يتجلى إلا في التركيب، حيث تبرز حدوده وتعين معالنه، وهذا يعني أن في مقتضى الحال، أي في ظروف إنجاز الكلام، وسياق المقال من المعطيات ما يوجه المحلل إلى تعيين تلك الحدود والمعالن... فمن خصائص الأدوات أيضًا إن كثيرًا منها يدخل في التركيب، لتشكيل منظومات تعبيرية متناسقة، يؤلف بينها المعنى المشترك زيادة على النظم الكلامي»^(٨).

إنَّ تراكم هذه العبارات الوصفة للرسالة وصاحبها (ﷺ) التي تظهر مكامن أسرار مقامه الشريف، هي وسيلة إقناع للمتلقى الذي يعد عنصرًا فاعلاً وحاضرًا في عملية إبداع النص، إذ يحاول صاحبه أن ينقله إلى الحالة التي يعيشها، أو إلى التفاعل مع التجربة التي دفعته، ويرى الدارسون أن في هذا أسلوبًا يتبعه المبدع كـ «قوة ضاغطة يسلطها المتكلم على المخاطب، بحيث يسلبه حرية التصرف إزاء هذه القوة فكأن الأسلوب أصبح بمثابة قائد لفظي للمتلقى.

هذه القوة الضاغطة تتمثل فيها عملية الإقناع بوسائلها العقلية، التي عبرها يسلم المتلقى قياده للفكرة الموجهة إليه، كما تتمثل فيها عملية الإمتاع التي تلون الكلام بكثير من المواصفات العاطفية الوجدانية، إذ تكون هناك مزاجية بين الجانب



الكتاب

من مقامات النبي الأكرم محمد (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

الإقناعي والجانب الإمتاعي، كما تتمثل فيها ثالثاً عملية الإشارة التي بها يوقف المبدع المشاعر التي كانت مخزنة عن المتلقي...»^(٩).

يعمد المنشئ إلى توصيل كلامه للمتلقى، ويحرص على بيان مقاصده وغاياته مستفيداً مما يتمتع به من طاقات فكرية، وتجربة في سبر أغوار الحياة، وأداء ذلك بطرق الكلام وأساليبه المتنوعة^(١٠).

جاءت العبارات القصيرة الموجزة محملة بالمعاني العميقة الدالة على مضمون رسالته السمحة، إذ تنبئ هذه الأوصاف المتوالية عن تصعيد للمعنى وتوسعة إشعاعاته، تتخللها فروق في معانيها اللغوية، أراد المتكلم إظهاره وإبرازه، ومن ثم فإن ذلك يعود على صاحب الدعوة والبعثة

المطهرة (عليه السلام)، من ذلك ما نلاحظه في قوله «العَلَمُ المَأْثُورُ، وَالكِتَابُ المَسْطُورُ»، فقد فسر في أحد قولين إنّه

القرآن الكريم، إذ جعله علماً هادياً، والمأثور هو ما يحكى عنه، واستدل على ذلك بقوله بعده (وَالكِتَابُ المَسْطُورُ)، ويراد به القرآن الكريم، والعبارة التالية مؤكدة للأولى^(١١). جاءت هذه الأوصاف على درجة عالية من الدقة والانسجام فيما بين الألفاظ، فقد جاء (السطوع) وصفاً للنور، (واللمعان) وصفاً للضياء، لأن هناك فرقاً في التعبيرين وهو أن الضياء أصل والنور متفرع منه وحاصل بسببه، أورد أبو هلال «إن الضياء ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيفيض بذلك، والشاهد أنهم يقولون ضياء النهار، ولا يقولون نور النهار إلا أن يعنوا الشمس، فالنور الجملة التي يتشعب منها...»^(١٢).

ولما كان الضياء بهذا المعنى الكبير وصفه باللمعان، ويراد به البرق^(١٣) وكأن لفظ اللمع يحمل اتساعاً وعموماً، لذا استعمل هنا مع

الضوء، وكذلك فيه شدة وبأس قال أبو هلال «إنَّ اللمع أصله في البرقة وهي البرق، ثم الأخرى المرة بعد المرة، واللمع مثل اللمع في ذلك إلا أن اللمع لا يكون إلا من بعيد، هكذا حكاه السكري في تفسير قول امريء القيس^(١٤):

وتخرج منه لامعات كأنها

أكف تلقى الفوز عند المفيض

والبرق أصله فيما يقع به الرعب، ولهذا استعمل في التهديد^(١٥).

وورد النور موصوفاً بالسطوع، ويراد به الارتفاع والعلو لهذا النور «يقال سطع المسك إذا ارتفعت ريحه، وكذلك سطوع الغبار ارتفاعه، وسطوع الصبح كذلك»^(١٦). وجاء لفظ (الصادع) نعتاً للأمر وهو من معنى قوله ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. والصدع معنى يدل على تأثير بائن في الشيء وهو «الشق في

الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرها... ورجل صدع ماض في أمره وصدع بالأمر يصدع صدعاً، أصاب به موضعه وجاهر به...»^(١٧).

نجد النص الشريف يقرن هذه الأوصاف المتعلقة بالرسالة بالأداة (ال) نحو (العلم المأثور، والكتاب المسطور، النور الساطع، الضياء اللامع، الأمر الصادع) وكأنها أرادت العهد والمعرفة السابقة بهذه الأشياء العظيمة، وتفيد (ال) معان عدة ف(مثلاً تفيد الجنس والعهد والموصولة والنيابة ولمح الأصل والتزيين والتعظيم... ثم غالباً ما تكون في التركيب ذات وجه واحد من الوجوه)^(١٨)، أراد أنها تعطي معنىً معيناً عبر استعمالها في التركيب.

لعله أراد بوصف الدين بالمشهور، أنه معهود به الذيوع والإظهار والشهرة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢٨﴾ [الفتح: ٢٨]، وفي القرآن الكريم إشارات أخرى إلى هذا المعنى، وكذلك إشارات من السنة الشريفة، فيما أثار عنه (ﷺ) في يوم الخندق حينما ضرب بالمعول، فخرج نور قد أضاء الفضاء حتى بانّت قصور كسرى وقيصر.

ومن هذا يظهر التلاؤم الواضح، والتلازم المناسب في استعمال اللمعان للضياء، والسطوع للنور؛ لأن الأول أقوى من الثاني وأشد، وهذا ما أفصح عنه القرآن بقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، قال الزمخشري «والضياء أقوى من النور»^(١٩).

نجد الوضوح باديًا، بيّنًا في التعبير المتعلق بالرسالة الشريفة، عبر الأوصاف والنعوت التي تجلى فيها المعنى بأبهى صورته، وتلحظ الدقة في الاختيار، مما يكسب الكلام قوة وتوكيدًا، فالمسطور مثلاً لا يكون إلا للمكتوب أو الكتاب، لذا اجتمعت في هذا اللفظ (المسطور) الصفة والتوكيد، فأصبح في العبارة تلازم بين اللفظين مما جعلها علمًا للقرآن الكريم، وكأنه (ﷺ) اقتبسها من قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ [الطور: ٢ - ٣].

نجد النص في غاية من الترابط والتناسب، فبعدما ساق هذه العبارات من المنعوتات، ونعوتها، جاء ما بعده من الكلام تعليلًا وسببًا له، فالصدع هو الأمر العظيم، وهو أمر الدين والرسالة، وبعثته (ﷺ)، وهذا إنما هو «إزاحة للشبهات، واحتجاجًا بالبينات، وتحذيرًا بالآيات، وتخويفًا بالمثلات»^(٢٠). إذ إننا نلمح العلة ظاهرة عبر استعمال المفعول لأجله في قوله (إزاحة، واحتجاجًا، وتحذيرًا وتخويفًا) وهذه قرينة صريحة وظاهرة من أجل تقوية العلة؛ لأنه «يدل على

علة حدوث الفعل، وعلى تقيده بها»^(٢١) «وعلاقة السببية إحدى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، ويقتضي سياق الجملة من المتكلم أحياناً أن يلجأ إلى هذه العلاقة لتكون معيناً له على بيان سبب وقوع الحدث... ومن هنا أنشأت العربية علاقة ارتباط بين الفعل والمفعول لأجله المنصوب بطريق علاقة السببية نحو قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] وحرصت على أن يكون المفعول لأجله مصدرًا؛ لأنَّ المصدر دال على الحدث المجرد من أي معنى آخر»^(٢٢) وقوله (عليه السلام) (إزاحة للشبهات)، فقد اكتفى بذكر الإزاحة لأقل الأشياء ليمتنع ويرتدع من الإقدام عن الأكبر والأعظم، لأن الشبهة هي ما اختلط فيها الحق بالباطل، إذ هي ليس بحق محض، ولا بباطل محض، فإذا كانت الإزالة لما هو متذبذب، فما كان أكثر

وأعظم منه فهو مدفوع وصولاً لليقين الذي لا شبهة فيه، وأما قوله (عليه السلام) (واحتجاجاً بالبينات) فهي الواضحات الدالة على الحق والحقيقة، فإنه (عليه السلام) اتخذها حجة ودليلاً وبرهاناً يركز عليها دينه الحنيف. وقوله «وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَحْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ» فقد بدأ بأقل درجة من الوعد والوعيد؛ لأن التحذير هو أمر دون التخويف فهو دال على التنبيه والإنذار بآيات الله البينة الواضحة، والتخويف هو الحالة الشديدة والمضطربة التي تعترى المخلوق ولعلها أشد من سابقتها وهو تهديد بالعقوبة، (والمثالات) جمع (مثلة)، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ [الرعد: ٦] ^(٢٣) وفسرت لفظة المثالات أنها «النقبات الواحدة (مثلة)... والمثلة نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلاً يرتدع به غيره



(الساطع، اللامع، الصادع)، وحرف

التاء كما في (الشبهات، البيئات...)، وقد شغل هذا مساحة من النص الشريف إذ شاعت حروف مثل: (النون، اللام، الميم، والهاء) وغيرها من الحروف من جهة شكل الألفاظ التي تسترعي السمع وتستهويه، وتجذبه لما فيها من إيقاع مؤثر. يلمح في هذه العبارات مجيء الأسماء مقترنة بـ(ال)، مثل الدين، العلم، الكتاب، النور، الضياء، الشبهات، الأمان، المثالات، الفجر، الأمر، المخرج...).

و(ال) هذه إنما هي (ال) العهدية لعلم المتكلم بحال المخاطب إنه على معرفة باللفظ الداخل عليه؛ ولأنه يدركه ولم يجهله، وقد عمد إليها ليحيل المتلقي عليها، ويميل فيها إلى الاختصار والاختزال في المنظم، فيحرك فكره ويجعله يحول في تصورها وإدراك قيمتها، وليجعل منه مشاركاً في نصه وكلامه وملماً بفكرته.

جاءت الألفاظ التي هي من لوازم الرسالة وهي (الدين، والعلم، والكتاب)، واضحة دالة على السمو، لإتمام معناها بالوصف المشتق (اسم المفعول) الواقع صفة لها وهو (المشهور، المأثور، المسطور). أما الوصف المشتق في ألفاظ (الساطع، اللامع، الصادع). فقد عاد الحدث فيها على الاسم السابق لها، وقيامه بها؛ لأنّ فيها فاعلاً يعود عليها.

جاءت العبارة في هذا النص الشريف متسقة متناسقة، يصدع التناغم في موسيقاها، ونلاحظ فيها تقسيمات لألفاظها وعباراتها، إذ إنها جاءت في أعلى درجات الصياغة اللفظية التي تجذب النفس، وتطرب السمع وكأنها تجري في روي ونسق في أصواتها كحرف الراء الذي انتهت به عدد من الألفاظ كـ(المشهور، المأثور، المسطور)، وحرف العين كما في



جهاد الرسول (ﷺ) في إتمام الدين:
يوازن الإمام (عليه السلام) في خطابه الشريف بين حالتين متقابلتين في أمر الناس من حيث الهدى والضلال، الأولى متمثلة في جهاد رسول الله (ﷺ)، في سعيه لإظهار الدين القيم ووضوح الطريق المستقيم، والثانية الكشف عن حال فئة من الناس اتبعوا الشهوات، واضاعوا الصلوات، وغرهم بالله الغرور، فأثروا الأولى على الآخرة، فقد رسم (عليه السلام) صورة معتمة مظلمة لهذه الحالة المقابلة للنور المشرق للدين الحنيف، فعبر عن حالة التيه والضلال لهؤلاء الناس بفتنتهم التي أضرت بالدين، ومن ثم أضرت بالحياة من نواحيها المختلفة؛ لأن الدين أصل كل شيء، فهو نظام الحياة وقانونها، وفي هذا التقابل صورة جمالية لترابط الكلام وتوصيله للمتلقي وهاتان الحالتان المتقابلتان وظفهما الإمام (عليه السلام)

بعبارات مكثفة متناسقة قائمة على الربط والانسجام، وهذا النوع من التقابل لا يقصد به أن تقف كلمة مقابل أخرى، وإنما هو موازنة بين حالتين مختلفتين، والتقابل بشكل عام مصطلح «ذو صفة شمولية لا تقف عند حدود المقابلة الطباقية أو عند حدود المقابلة للشيء، فهو يتصف بصفة الجمع لأسلوب التوازن أو التماثل أو التفويف أو الازدواج والإرداف والترديد... والتناسب والتناظر... وكلها على صلة كبرى بالعناصر الجمالية»^(٢٥).

ويؤكد الدراسون على جمالية أسلوب التقابل لكونه بنية نسقية مندجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل ومتفاعل مع الدلالة، فما تكاد تلتقي حتى تفرق على التضاد، أو على التشاكل لتخلق لذة جمالية مفاجئة ومثيرة، وهي تنتقل من أسلوب نسقي إلى آخر



من مقامات النبي الأكرم محمد (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

لتحدث في النفس قبضاً وبسطاً، هيبه وأنساً، خوفاً ورجاءً و.....

وبهذا كله يغدو أسلوب التقابل في بنيته الجمالية ظاهرة أسلوبية داخلية في نظرية النظم عند الجرجاني، وفي مفهوم التصوير الفني عند القدماء والمحدثين على السواء... فالتضاد التقابلي لا يقوم على مجرد المعاكسة أو التعارض، أو على أساس مفهوم الهدم والبناء... وإنما يستند إلى النسق التقابلي البنيوي فكل نسق يقف مقابل نسق آخر تضاداً وتشاكلاً لينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة»^(٢٦).

جاء النص الشريف مشتملاً على مستوى عال من البلاغة لما فيه من الاستعارات والمجازات، كما في قوله (عليه السلام): «وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وَتَزَعَزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ... فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَائِهَا، وَوَطَّئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا وَقَامَتْ

عَلَى سَنَابِكِهَا.....»^(٢٧). نجد الإمام (عليه السلام) ينعت هذه الحالة الضارة بالفتنة والفتن لخطورتها، ويحذر من هذه المواقف بعد بزوغ نور الرسالة الذي أشرقت له السموات والأرض، يورد ذلك بعبارات مترابطة متناسقة متعددة عبر تعالق بعضها ببعض بواسطة العطف فيما بينها. والعطف أو ما يعرف بالوصل الذي يقابل الفصل هو من مباحث المعاني التي تتميز بإمكاناتها الأسلوبية لاعتمادها على الأدوات الرابطة، ويطلق عليها حروف المعاني^(٢٨).

نجد في النص ألفاظاً متقاربة في معانيها كاستعماله (عليه السلام) الأفعال (انجذم، تزعزع) والفعلين (اختلف، تشتت)، فهي وإن كانت ظاهراً تدل على معنى واحد، ولكن يظهر فيها فروق في اللغة، والمعنى الجامع فيها الوهن والضعف، والزوال والاضمحلال، فضلاً عن دقة

الاستعمال في كل جملة وردت فيها. فالجزم ملازم لاستعمال الحبل، وهو انقطاعه، والترزعزع هو التضعع والسقوط وفي قوله (ﷺ): «**وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَتَّ الْأَمْرُ**» والنجر: يعني الأصل في الشيء^(٢٩). ونقل عن أبي عبيدة قوله (وفي حديث علي، واختلف النجر، وتشت الأمر، النجر الطبع والأصل ومن أمثالهم في (المخلط) الذي ليس له رأي يثبت عليه قالوا (كل نجارٍ ابلٍ نجارها) يريدون بذلك فيه من كل لون من الأخلاق^(٣٠) وفي هذا يشير أمير المؤمنين (ﷺ) إلى ضياع هؤلاء المضلين في آرائهم وأصولهم وطباعهم.

ومما جاء على دقة العبارة وتناسبها مع أختها أنه قدم عبارة (اختلف النجر) على عبارة (تشت الأمر)؛ لأن الاختلاف فيما هو أصل وثابت يكون علة لما بعده وسبباً له، فإنه

يقود ويؤدي إلى تشتت الأمر وتبدده، وجاء لفظ (الأمر) في عبارة (وتشتت الأمر) و(الأمر) لفظ يستعمل للشيء المهم والعظيم، وقد عبر القرآن الكريم في عدد من المواضع في هذا اللفظ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ...﴾ [آل عمران: ١٥٤] ونحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

«والأمر: الشأن.... وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها»، وجاء وروده في القرآن الكريم بحسب السياق منه قوله تعالى: ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣] وكذلك جاء بمعنى الإبداع نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] (٣١).

ومن غناء النص ما نلاحظه فيه من استعمال المتضادات والتقابلات كما في قوله (ﷺ) «فالهدى خامل، والعمى شامل» و(عصى الرحمن،



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

ونصر الشيطان) و(في خير دار وشر دار).
عن انتهاك الحرمات واتباع الأهواء،
وحبّ الشهوات، فأراد (ﷺ) أن

يعبر في الحالة الثانية عن ذم أصحاب
معاوية، وبيان حالهم هذه؛ لأنها فئة
تنصلت عن دين الله تعالى الذي
أظهره نبيه (ﷺ) فمن خالفه
كانت هذه صفته. ومن تمسك به
كانت منزلته ومقامه يتجه نحو مقام
رسول الله (ﷺ).

ارتباط أهل بيته (ﷺ) به (ﷺ):

بعد المقطع الذي افتتح به خطابه
(ﷺ) وأظهر فيه بعض مناقب
النبي الأكرم (ﷺ)، ثم بعد ذلك
جعله موصولاً بورثته في الدين
وامتداده في الرسالة، وهم الأئمة من
أهل بيته (ﷺ) الذين حفظوا عنه
الإسلام الحق ففانوا في الدفاع عنه،
وضحوا من أجله، إذ يقول (ﷺ):
«هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ وَعَيْنُهُ
عِلْمُهُ وَمَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُھُوفُ كُتْبِهِ،
وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْجِنَاءُ ظَهْرِهِ،

وفي حديث الدكتور حسين جمعة
عن العلاقة الجمالية بين الشكل الفني
لأسلوب التضاد وبين مضمونه في
القرآن الكريم، بيّن ذلك أنها «علاقة
تقوم على الدقة في اختيار الألفاظ
وإنزالها في مواضعها دون تعقيد أو
غموض، أو زيادة أو نقصان....
وتتمثل في الوضوح والركة والانسياب
العذب بين الأنساق المتقابلة... سواء
كانت متناظرة أم متساوية... فهي
تتصف بالبهاء والرونق في اللفظ
المفرد الفصيح، وفي اللفظ المركب
البليغ في الوقت الذي ترسي مبدأ
الروعة والسمو في معانيها»^(٣٢).

ومن هاتين الصورتين تبرز آلة
العنت والمشاق الذي تحمله رسول
الله (ﷺ) في سبيل إعلاء كلمة الله،
كما يبرز انحطاط الفئة التي تستخف
بأمر الدين ولا يمسكها وازع ولا رادع

وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ» (٣٣).
 أ. د. سالم يعقوب السلمي

كل هذه الأمور المهمة والعظيمة المعظمة له (عليه السلام) التي أظهر فيها الإمام (عليه السلام) الدرجة العالية له (عليه السلام) جعلها مودعة بهم، وراجعة إليهم من هذا يدل على أنهم (عليهم السلام) أصله وبطانته، إذ نجد في هذه العبارات ترابطاً وقوة في الاتساق عبر الإضافات المتكررة، فالإضافة تدل على شدة امتزاج النسبة بين الاسمين.

لقد وصل الكلام أيضاً عبر الإحالات المتمثلة بالضمير العائد على الرسول الأعظم (عليه السلام) في الألفاظ الواردة في النص نحو (سرّه، أمره، علمه، حكمه...). لقد تولدت هذه المنزلة من مقامه الشريف (عليه السلام)؛ لأنه لا ينفك موصياً بهم في كل وقت و مكان، قال معبراً عن ذلك (عليه السلام): «ولهم خصائص الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...» (٣٥).

وبعدما بين الحال التي عليها هؤلاء المنافقون، عرج بالقول على الكفة الراجحة، وهم محمد وآل محمد (عليهم السلام)؛ لأنهم المحسودون من الجهة الثانية وهي الفئة المنافقة، فأراد من ذلك إظهار المقام الرفيع الذي



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

بوأهم الله فيه، والمحل الذي هيأ لهم؛ لتكون حجة على من ناوأهم، ونصب العداوة والبغضاء لهم، وهذا الكلام لا يستطيع أن ينكره أحد؛ لأنهم قد بذلوا غاية المجهود من أجل تثبيت الدين ورسوخه، والأمة تشهد على ذلك، وقد أشار شارح النهج أن في كلامه (ﷺ) هذا تعريضاً على من ادعى التقدم عليه، لسابقته في الإسلام، وجهاد أعدائه، وكذلك علومه الواسعة الجمّة (٣٦).
عن طريق مقام رسول الله (ﷺ) تنعكس صورتهم لارتباطهم معه. لقد أشار (ﷺ) إلى أمور ترجع إلى النبي الأعظم (ﷺ) منبهاً الأمة على ذلك، مؤكداً فيها على حقوق أهل البيت (ﷺ)، ورعايتهم، منها قوله: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة» (٣٧). والأحاديث الماثورة عنه (ﷺ) في حقهم، والوصية في اتباعهم فهي ثابتة عند

المسلمين جميعاً، منها حديث الثقلين عن أبي سعيد، قال رسول الله (ﷺ): «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض» (٣٨). وغيره من الأحاديث الشريفة الكثيرة. جاءت هذه الألفاظ (الولاية، الوصية، الوراثة) في كلامه الشريف معرفة بـ (ال)؛ لأنها معهودة عند الأمة من رسول الله (ﷺ) إلى أهل بيته (ﷺ) في موالاتهم؛ ولأنهم أوصياؤه وورثته في دينه.

يقرر في قوله (ﷺ): «إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة» (٣٩)، يبين (ﷺ) أحقيتهم بالموالاة والرعاية والطاعة لأمر رسول الله (ﷺ) لما رأى من مصادرة حقوقهم، وعن طريق ذلك فإنه (ﷺ) يرسم مكانتهم بين

لقد أشار (ﷺ) إلى أمور ترجع إلى النبي الأعظم (ﷺ) منبهاً الأمة على ذلك، مؤكداً فيها على حقوق أهل البيت (ﷺ)، ورعايتهم، منها قوله: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة» (٣٧). والأحاديث الماثورة عنه (ﷺ) في حقهم، والوصية في اتباعهم فهي ثابتة عند

الأمة عبر ما خطه رسول (ﷺ) لهم، ولما كان الرسول الأعظم (ﷺ) لا ينطق عن الهوى، فهذا حق يقين، ومن صدف عن ذلك فقد خالف رسول الله (ﷺ).

الربط في تشابه الأحداث

بين الإمام (عليه السلام) والنبى (ﷺ):

بيّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن طريق الأحداث التي مرت وعاشها شدة ارتباطه برسول الله (ﷺ) نجد ذلك في قوله: «ذَمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِيْنَةً، وَأَنَا بِهِ زَعِيْمٌ، إِنْ مَنْ صَرَحَتْ لَهُ الْعِبْرَةُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حَزَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ، أَلَا وَإِنْ بَلَيْتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَلَنَّ بَلْبَلَةً، لَتُغْرَبَلَنَّ غَرْبَلَةً، وَلَتُسَاطَنَّ سَوْطُ الْقَدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ...» (٤٠). بدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبته بوثوق ويقين نافيًا على من يراوده شك

في قوله، مؤكدًا ذلك بأخذ العهد على نفسه فيما يذهب إليه، ويتحرى القول في قوله مجتنبًا للشبهات، وبعد هذا التمهيد أراد (عليه السلام) أن يقارب في أمرين، وبين حالتين، وهو حال الأمة في عهد البعثة المشرفة، وموقفهم منها بين مؤمن ومنكر، وما تحمله رسول الله (ﷺ) من أجل ذلك، وكذلك الحال في عهده (عليه السلام)، وبيان ما سوف يواجهه من المعاندين والمعارضين، وما يجري من الفتن، فأراد أن يبين المواقف المتشابهة بينه وبين رسول الله (ﷺ)، ويمكن أن يفسر كلامه الشريف إلمامًا منه (عليه السلام) لاندماج الحالتين بينه وبين

رسول الله (ﷺ) ؛ لأنه ورسول الله (ﷺ) نفس واحدة فهي متحدة معه، وهذا ما فسر في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا



﴿البقرة﴾

من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَبَجْعَلُ لَعْنَتَ
الله عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿[آل عمران: ٦١].

أورد ابن الجوزي آراءً عدة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ نقل الرأي الأول عن الشعبي أن المراد بذلك هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٤١).

والإمام (عليه السلام) على يقين في كلامه؛ لأنه يؤكد ذلك باليمين والقسم، وهو يقسم بمبعث رسول الله (ﷺ)، وذلك قسم كبير في نفسه، وفي نفس الآخرين، ولا شك أن القسم من مؤكّدات الكلام وقول الإمام (عليه السلام) وعلمه إنما هو مستنبط من علم رسول الله (ﷺ). وفي هذا المعنى ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يُفْتَحُ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ» (٤٢).

الاحتجاج برسول الله (ﷺ) ردّاً على

الخصوم:

يحتج (عليه السلام) في مؤاخذاته على من

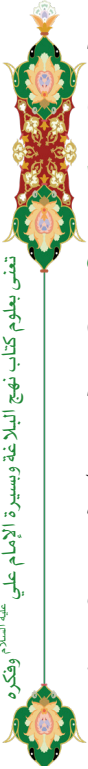
نجد النص الشريف مملوءاً بالقوة والتأكيدات، تجليةً للهداية واليقين،

لم يتحرر الدقة في الحكم، ويسير به برأيه، على ذلك بإتمام هذا الدين الحنيف الذي بعث به رسول الله (ﷺ) بما أنزل عليه من ربه من الآيات البينات الواضحات، فلما عاب على من اختلف مع غيره وحكم برأيه، احتج بوحدانية الله تعالى، وبالمبعوث رحمة للعالمين جميعاً محمد (ﷺ)، وكذلك بالكتاب المنير الهادي إلى سواء السبيل، فعلى الرغم من الموحديات التي تلزمهم بتوحيد كلمتهم، وقوة شوكتهم إلا أن آراءهم أشتات يقول (عليه السلام): «ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيَصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ»^(٤٤). فعبارة (ونبيهم واحد) وردت في سياق أكثر من عامل في التوحيد ابتداء برب العزة تبارك وتعالى، وتلاه بالنبي الأكرم (ﷺ)، ثم الكتاب العزيز؛ لأنه

تعالى قرن ذكره بذكر رسوله في الطاعة والتزيه والتمجيد، والتكريم والتشريف، وهذا ما يؤكد القرآن الكريم.

مما يدل على المكانة التي يشهد بها (عليه السلام) للنبي الأعظم (ﷺ) وقوله «أم أنزله الله سبحانه ديناً تاماً فقصر رسول الله (ﷺ) عن تبليغه وأدائه»، ففي هذا الكلام استفهام إنكاري؛ لأنه ينكر اشد الإنكار والاستبعاد عن أن يدخر الرسول الكريم (ﷺ) وسعاً إلا ويبدله من أجل تبليغ رسالته، لأن ذلك يناقض ما ذكره الله عن رسوله وإتمام دينه.

إن «استعمال الاسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث،





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.

بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون»^(٤٥). نجد هذا الاستفهام قد بدأه (عليه السلام) فيما يتعلق بالتنزيه عن الباري الخالق تبارك وتعالى، ثم أردفه بالكلام عن تنزيه رسوله الكريم (ﷺ) للتلازم وشدة الارتباط بين الله تعالى ورسوله (ﷺ).

لقد بين (عليه السلام) في قوله «ابْتَعَثَهُ

رَحْمَةً لِلْعِبَادِ...» هذا الابتعاث

وهيأته التي جاءت ملائمة لمعنى

القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]. وقد جاءت

العبارات متناسقة ومتلائمة في

مواضعها، فقدمت عبارة (الرحمة

للعباد) على عبارة (الحياة للبلاد)،

لأجل تقدم العلة على المعلول، فإذا

عمّت الرحمة العباد ببركة الرسالة

الخالدة، وصلحت الأمة بشرعته

وبعثته المباركة، فسيؤدي ذلك إلى

الحياة الطيبة الكريمة.

ويرتبط هذا الكلام بالكلام

مدح النبي (ﷺ) والثناء عليه:

بعد الحمد لله سبحانه ذكر نبيه

بما هو أهله معللاً ابتعائه وإرساله،

فقال: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

ابْتَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ، وَحَيَاةً لِلْبِلَادِ»^(٤٦)،

جاء الفعل (ابتعته) بعد الشهادة

برسالته لتكون الألفاظ نسقاً منسجماً

ومتناسقاً، والفعل (ابتعث) جاء

على صيغة (افتعل)، إذ نلمس فيه

معنى المطاوعة؛ لأنّ المشيئة الإلهية

المطلقة، والقدرة التكوينية تقررت

اللاحق، وهو علة له إذ أشار (عليه السلام) إلى أن الرسالة والبعثة إنما هي هداية لهذا العالم الأرضي بأكمله، وهذا ما يدل عليه قوله «حين امتلأت الأرض فتنة، واضطرب حبلها، وعبد الشيطان في أكنافها، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها...»^(٤٨)، نجد في ما تقدم قوة في السبك والحبك بين العبارات، وقد تنبه الدارسون المحدثون إلى الارتباط فينبوا «أن أصل تلك العلاقات جميعاً يرجع إلى علاقات الارتباط المنطقي بين المعاني، وهي العلاقات القائمة على عملية تداعي المعاني في العقل البشري... ويذكر براون وميلر أن بعض الباحثين استخدموا مصطلحات أخرى تتعلق بهذا المجال منها مصطلحا النظام والتركيب، ومصطلحا الاختيار والسلسلة، ويقولون إن هذه العلاقات شاملة، إذ يمكن تطبيقها على كل مستويات

الوصف اللغوي، ومن هنا كانت هذه العلاقات متضافرة ومتوافقة، ليس يتكل بعضها على بعض»^(٤٩). وبعد هذه الأحوال الدالة على أهمية البعثة المشرفة، أعقب ذلك بقوله (عليه السلام) «فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إمام الهدى، والنبى المصطفى (عليه السلام)»^(٥٠)، إذ جاء بعد هذا الكلام ذكر النبى الأكرم (عليه السلام)، وفي ذكره أثر بالغ في النفس لما يحمله الاسم الشريف من قوة في وصل الكلام، كوسيلة للإقناع والإنجاز، ويذهب الدارسون المحدثون إلى أن اسم العلم «يحيل على شخص ما في مقام ما أو مقال ما يصبح له محتوى وصفي، هو مجمل صفات ذلك الشخص الذي يحيل عليه الاسم. لذلك ذهب روسل في نقده لميل في مسألة اسم العلم، إلى أنه على الحقيقة وصف لصاحبه لكنه وصف غير معلن. فاسم العلم حسب





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

روسل يمكن أن يحلل على الصفات التي لصاحبه»^(٥١).

يستدل من ذلك أن الاسم العلم المبارك العائد للنبي الأكرم (ﷺ) يتمثل فيه المتلقي كل الصفات المباركة لحامل الرسالة الخاتمة، بما فيه من المعاني العظيمة والمبادئ السامية لرسالة الإسلام.

وبعد ذكر اسمه الشريف اتبعه (ﷺ) بالصفات الحقة التي وصفه الله بها، وهو قوله «**إمام الهدى والنبي المصطفى**» (ﷺ)، وهذا هو المكان الذي بوأه الله تعالى والمحل الذي ارتضاه له.

تظهر بلاغته (ﷺ) باستعماله الاستعارات والتشبيهات التي وصف بها الفتنة التي أطفأها الله برسوله الكريم (ﷺ) فقال (ﷺ): «**الذي أطفأ الله به نيرانها، واخمد به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به ميلها...**»^(٥٢) نجد تكرار الضمير

الضمير دواع ذكرها الدارسون منها «إن إدراك المتكلم بأن المحال عليه لن يلتبس على المخاطب، قد يحمله إلى الاكتفاء بالتلفظ بالضمير، دون أن يردفه بلفظ يدل على مرجعه... أما في خطاب الملوك فإجلالاً لهم لا يخاطبون بضمير الخطاب لما فيه من المواجهة وإنما يخاطبون بضمير الغيبة، أو بوصف يدل على التعظيم وإعلاء الشأن»^(٥٣).

وأشار (ﷺ) إلى ارتحال رسول الله (ﷺ) وإتمام دينه المبارك وسيرته العطرة، وإكمال النعمة، وإعظام الرحمة، فعبر (ﷺ) في الخطبة نفسها بقوله: «**ثم قبضه الله إليه حميداً**»، إذ يشير الفعل (قبض) إلى معنى العناية والإكرام، ف«القبض تناول الشيء بجميع الكف نحو قبض السيف وغيره، قال تعالى: ﴿قبضت قبضة﴾»

وَفِي شَرِّ دَارٍ...» (٥٦).

الموت فيقال قبضه الله» (٥٤). ويسمى ملك الموت بـ (قابض الأرواح) (٥٥)، مما يدل على المدح والثناء على النبي (ﷺ)، ما قيد به هذا الحدث وهو (القبض) بالنعته الحسن وهو لفظ (حميدا) في قوله (قبضا حميدا).

وجاءت الحال (حميدا) بصيغة المبالغة مبيّنا حياته المباركة، والسيرة العطرة حتى اختتمت له برضوان الله وما أعدّه له من المقام المحمود.

منزلة البعثة الشريفة

نجد الإمام (ﷺ) في أكثر المواضع والخطب يبدأ كلامه الشريف بدور البعثة الشريفة، وذكر الرسول الأعظم (ﷺ) والموازنة بين حال الأمة بعد مجيء الإسلام، وحال الناس قبل الإسلام، كما في قوله (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ،

بين (ﷺ) حال البعثة الشريفة، وفيه إشارة إلى ابتداء تكليف النبي (ﷺ)، وهي بداية خير ونور، لا اعتدال ما اعوجّج من حياة الإنسان في ذلك الوقت وقبله، وقد اختار (ﷺ) الفعل (ابتعث)؛ لأنها تفيد بداية الشيء؛ لأنه (ﷺ) أراد أن يفاضل أو يوازن بين حياتين يعيشها الإنسان وكلاهما متقاربة من الأخرى، إذ تبدأ الثانية بانتهاء حياة قبلها، وكذلك نلمح في فعل الابتعث امتدادا للرسالة وأدائها، ويؤكد ذلك الحال التي بينت حياة هذا الابتعث في قوله «نذيرا للعالمين وأميناً على التنزيل».

والنذير هو وصف له (ﷺ) ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾ [البقرة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

[سبأ: ٢٨] لقد اختار الإمام (عليه السلام) هذا الوصف للنبي (ﷺ)؛ لأنه اسم ووصف فيه قوة وبأس يحتمل الإنذار والوعيد بالعقاب، مما جاء متناسقاً متناسباً مع ما بعده من الكلام في النص، ولما فيه من التقريع والتحقير فيما كانوا عليه من عصبية وبدادة، وسفك دماء، قال (عليه السلام):

التأسي برسول الله (ﷺ):

يجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (ﷺ) أسوته وقدوته ومثله الأعلى في كل موقف شديد يمر فيه، وفي كل كرب ونازلة تواجهه، فيظهر سمو تلك الشخصية العظيمة، وعلو همتها التي يتمتع بها، عبر ما أبان عنه النص الشريف وكشف عنه؛ إذ جاء ذلك حينما أجمعت العرب على قتاله (عليه السلام)، كما أجمعت على حرب رسول الله (ﷺ) ويضفي هذا التأسي طمأنة لنفسه، وإيماناً بهدفه السامي.

«وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَاتٍ ضُمَّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجُشْبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ» (٥٧).

ونلمح في هذا التعبير العموم والشمول في لفظ العالمين من قوله (ﷺ) (نذيراً للعالمين؛ لأن النبي (ﷺ) مبعوث لجميع العوالم، وشرعته قائمة للناس كافة على مر الأزمان والعصور، وجاءت عبارته

في شكاته من قريش، وعداوتها له (ﷺ) يحتج بقربته من رسول الله (ﷺ) وسابقتها في الإسلام في قوله «وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام»^(٥٨)، فقد جاء التعبير بلفظ الرسول ليتسق مع العبارة التالية له وهي الإسلام؛ لأن الرسول مكلف في تبليغ هذا الدين العظيم وهو انسجام ناجم عن الترابط بين الألفاظ، وهو نوع من الترابط القائم على التكرير، وقد جعل الدارسون هذه الظاهرة من الترابط المعجمي قائمة «على سلم أولى درجاته عودة الوحدة، وبعد هذا الترابط والانسجام بين الألفاظ قيمة مهمة من قيم النص تتمثل باختيار الألفاظ ووضعها بما يناسبها ذكر خمري هذه المسألة بقوله: «إذ يقوم النص بعملية اختيار داخل اللغة ذاتها (محور الاختيار)، ومن

هنا يمكن النظر إلى النص باعتباره عينة من المؤسسة اللغوية، إذ يعرض مستوياتها التعبيرية وصيغ تطورها وبنياتها التركيبية والدلالية، وهذه الوظيفة هي لغوية بحتة، إذ يفتح النص نظامه اللغوي الخاص ويعمل على تحويله وإعادة تشغيله»^(٥٩)، إذ جاء التعبير ليتسق مع العبارة التالية له وهو الإسلام؛ لأنه رسول في تبليغ هذا الدين العظيم، وقدّم عبارة (قرابتي من الرسول) على (سابقتي في الإسلام)؛ لأن القرابة متأصلة وسابقة، وهذا ما جاء في النص الشريف كأنه يريد أن يحتج بذلك بقوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ...﴾ [الشورى: من الآية: ٢٣] وأبرز منزلة الرسول (ﷺ)؛ لأن لهم الشرف في الانتساب إليه، وأكد ذلك بعطف عبارة (وسابقتي في الإسلام) على ما قبلها، ولا تقتصر هذه القرابة



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

على القرابة النسبية بين الإمام (عليه السلام) وبين رسول الله (ﷺ)، بل تتعدى إلى القرابة والترابط والالتزام الروحي والنفسي بينهما.

وفي مقام البعثة وفضلها في الإسلام أظهر كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) صورة العرب وهم يعيشون خبط عشواء بلا هداية، ولا دليل، لا يقرؤون كتاباً ولا يهتدون بنبي، حتى من الله عليهم بالنبي الأعظم (ﷺ) فتبدلت حالهم، وتغيرت أمورهم إلى خير، لذا جاء الكلام مبيناً عزهم، ومكانتهم بعد شروق الإسلام وبزوغ نوره.

يدل الفعل (ساق) في قوله (فساق الناس) على الاندفاع والتسليم للسائق، وهو الرائد الموصل إلى ذلك المكان والمحل الذي بوأهم فيه حتى بلغوه واستقاموا، ويظهر فيه صورة الإذعان والتسليم، ولعل دلالة الفعل (ساق) نلمح فيها العموم

والشمول والقوة، إذ يدخل تحته الطائع والمحب وغيرهما، والأصل في السوق إنما هو «سوق الإبل جلبها وطردها، يقال سقته فانساق، والسقية ما يساق من الدواب، وفسر قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٣٠] نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، وقوله ﴿سَائِقُ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] أي ملك يسوقه وآخر يشهد عليه وله، وقيل كقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ [الأنفال: ٦]»^(٦٠).

وفي الأفعال الواردة ضمائر تعود على صاحب الرسالة المتقدم ذكره الشريف الذي انقذهم من الجهالة والضلال حتى بلغوا النجاة في الدين، ويؤكد الدارسون المحدثون على أهمية وظيفة الضمير في الجملة العربية لغرض ارتباط وربط أجزاء الكلام وإحالة بعضه على

تعظيم الأحاديث الشريفة

عند الإمام (عليه السلام):

لما أراد الإمام (عليه السلام) أن يخبر عن النبي الأعظم (عليه السلام)، مهد لكلامه الشريف قبل أن يذكر الحديث في قوله «فَلَأَن أَخَرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)»، ثم أورد الحديث «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ...» (٦٢) جاءت هذه المقدمة لتسد الباب أمام المرجفين والأعداء المكذبين المفترين عليه (عليه السلام)، فهو لا يستبعد أن يشك هؤلاء بقوله وهو ينقل حديث رسول الله (ﷺ)، لذا فقد أظهر فيها منزلة صاحب الحديث ومقامه في نفسه، وقد صور فيها الجرأة، والأمر الكبير، والمعصية التي لا تغتفر بحق من يكذب على رسول الله (ﷺ)، وقد جاء بصورة حسية مهولة تكون عنده أهون من غيرها في حال القول عن رسول الله بغير حق،

بعض، فالضمير يعمل على التعالق بين الجملتين ويدفع اللبس عن الكلام (٦١).

افتتح الإمام (عليه السلام) خطبته بالبعثة الشريفة، مسمياً النبي (ﷺ) باسمه الشريف من دون ذكر لفظ الرسول أو النبي، لما في ذكر الاسم العلم من قيمة إنجازية مشعة، إذ إن في ذكر اسمه الشريف وقع في نفس المتلقي كما تقدم ذكره.

ارتبط مفتتح الكلام الشريف المتمثل بفضل الله على الناس برسوله الكريم (ﷺ) واستنقاذهم مما هم فيه قبل البعثة المطهرة، ثم تحول الناس الذي أدى إلى حسن حالهم فقد ارتبطت هذه المقدمة بكلامه الشريف عن قريش وما يلاقيه منهم، وكأنه أراد أن يشير إلى العنت والمصاعب التي واجهها الرسول (ﷺ) في عهد ابتعائه مع ما يواجهه نفسه (ﷺ).



﴿النبوة﴾

من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.

وهو في كل ذلك ما يقول إلا الحق، وما ينطق إلا بالصدق، ومن هذا ما روي عنه (عليه السلام) وهو يخاطب الخوارج يوم النهروان بقوله «نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وعنصر الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، نحن أفق الحجاز...» (١٣).

نجد في هذه المقدمة تكثيفاً للعبارة عبر العطف المتكرر، وهذه الأخبار التي تثبت الحقيقة وهي متصلة ومرتبطة كلها برسول الله (ﷺ)، وإنه (عليه السلام) قد أراد شيئاً ولم يذكره بذاته، وإنما ذكر لوازمه، وهذا فن بلاغي يسمى بالاستعارة المكنية، فالنبوة والرسالة ونزول الملائكة وحلول الرحمة، ومعدن العلم والحكمة، وأفق الحجاز يرجع إليه (ﷺ)، وهم قد انتسبوا إليها، لأنهم القيمون عليها بعده (ﷺ) والموكلون عليها، فهي أمانة في أعناقهم فأدوها على تمامها، فحاربوا

وهو أن يحز أو يهوى من السماء أحب إليه من ذلك، وهذه صورة مهولة مستوحاة من القرآن الكريم حينما يصور المشركين: ﴿... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فهذه صورة الشرك بالله تعالى، فتلك صورة من يجراً فيكذب على رسول الله (ﷺ) ومن جهة أخرى فإنه أراد أن يدحض الأعداء ويردعهم بحجة دامغة أنبأ فيها رسول الله (ﷺ) عن هؤلاء المارقين عن الدين كما يمرق السهم من الرمية، وهو نص لا يقبل التأويل.

الانتساب إلى رسول الله (ﷺ):

يبدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبه إمّا بحمد الله سبحانه، والثناء على رسول الله (ﷺ)، أو التمجيد بالبعثة والرسالة، أو انتساب إليه (ﷺ)؛ ليكون مفتتحاً يصغي به الأسماع، ويجلب الأنظار، ويهيئ به القلوب،

عن رسول الله (ﷺ):

ورد في خطبته الشريفة الإخبار بالمغيبات عن رسول الله (ﷺ)

التي اسرّ هاله في عهده وقد حدثت في زمانه (ﷺ)، وهذا تصديق لما قاله رسول الله (ﷺ) بعدما شك بعضهم فيما يقوله لهم، قال في ذلك

(ﷺ): «أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلُ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ»^(٦٥)، إذ

جاء كلامه مستنكراً على من يذهب به هذا المذهب، وهو طريق من طرق الاستفهام الذي تتجلى فيه دلالة الردع والزجر، وبعد هذا الإنكار ورد كلامه (ﷺ) محملاً بالحجة

والدليل الساطع الثابت عند الجميع من قوله: «وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلُ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ» وفي هذا نقص لما ادعوه عليه، فأسقط ما ذكره عنه في مقدمته، وهذه حجة منه (ﷺ) موثقة بالمؤكدات كالتوكيد

البغي والظلم والفساد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وضحوا من أجلها.

لقد توفر النصّ على توصيل الكلام وتقوية أوامره عبر تعدد الإضافات؛ لأن ذلك متحقق فيها لشدة الاندماج بين الاسمين المتضايقين؛ لأنّ الإضافة في عرف النحويين «ضم أسم أول إلى اسم ثانٍ ليس بخبر ولا تابع، ولا حال من غير فاصل بينهما»^(٦٤). ومما تقدم تظهر فيها النسبة القوية الدالة على التماسك، وقد جاءت ألفاظ (الرحمة، العلم، الحكمة) متأخرة في كلامه (ﷺ) عن ألفاظ (النبوة، الرسالة، وإنزال الوحي، والملائكة)؛ لأن هذه من أسباب الرسالة الخالدة، إذ ارتبطت الرحمة بالرسالة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إخباره (ﷺ) بالمغيبات



بالقسم بالله تعالى، وكذلك التوكيد بلام التوكيد الداخلة على الضمير، وكذلك في ضمير المتكلم (أنا)، وكذلك العبارات المتضادة التي تكشف عن النص وتحفز المتلقي في وسيلة الإقناع كما في عبارتي (لأنا أول من صدقه، فلا أكون أول من كذب عليه).

عن أحد الأعلام وهو (إبراهيم بن محمد) قوله: «يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق... ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع»^(٦٦).
لقد درس أحد الباحثين المحدثين هذه القضية مبيناً تنبيه القدماء إلى تحقق الفهم عبر ما اشترطوه من توافر وسائل وعوامل تعد واسطة ومعيناً إلى ذلك في النص مراعاة للمخاطب^(٦٧). فإذا كان المخاطب خالي الذهن وكان شاكاً في الأمر فيؤتى بوسائل تفيد الإقناع وتوصل إلى اليقين من ذلك المؤكدات الكلامية كما هو محقق في النص الشريف.

أما المنجز الكلامي الآخر في خطابه (عليه السلام) فهو الاستفهام المصحوب بالهمزة والفعل المضارع (أتراني) المتعدي إلى ياء المتكلم، الذي نلمح فيه التعجب والاستغراب لما في الأمر من أهمية بالغة على نفس

لما كان حال القوم التي يدركها الإمام (عليه السلام) من حيث عدم استيعابهم وإدراكهم للسر الذي أودعه الله في رسوله (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) حينما أخبر أمير المؤمنين (عليه السلام) بأسرار من مكنونات الغيب التي أطلع الله بها، فإنه قد عمد إلى توثيق كلامه وتوكيده مراعاة لمقام حالهم، ومعرفته (عليه السلام) بسوء طويتهم، وهذا من بلاغة القول عنده، وقد أدرك القدماء أساليب الكلام عند الخطباء والمتكلمين منبهين على مراعاة المتكلم للمخاطب، ينقل الجاحظ

المتكلم، وهو الكذب على رسول الله (ﷺ) وهو الذي أول من صدقه، وقدم نفسه فداء لرسالته وبعثه الشريفة، ويمكن أن يخرج الاستفهام هنا إلى الإنكار على أولئك الشاكين الطاعنين، وكذلك يمكن أن يعطي معنى التقرير؛ لأن المستفهم واثق ومتيقن بذلك، وكذلك يكون الاستفهام هنا مفيدا للتقرير من جهة الأعداء، إذا أردنا أن نفسر أنهم يعلمون ويطمئنون بهذه الشخصية العظيمة التي لا تأخذها في الله وفي الحق لومة لائم، ولكن مكابرتهم تقودهم وتمنعهم من أن يسلموا له. لقد ورد التعبير بصيغة الاستفهام للفعل (رأى) في القرآن الكريم كما هو في قوله تعالى في سورة الماعون: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾ [الماعون: ١] وقد المح الدارسون إلى دلالات هذا التعبير في السياق القرآني من الاستفهام، إذ هو يشير

في نفس الغافلين هزة وإثارة لما فيه من المبالغة في التعجب والعمل على تنبيههم، وكذلك إظهار الأمر ووضوحه، ولعل الفعل (أرأيت) مناسب في الاستعمال في الأمور الظاهرة الواضحة المشاهدة والمعاينة^(٦٨).

استنهاض أصحابه بتذكيرهم برسول الله (ﷺ):

يُظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) الإيمان الراسخ بالرسالة الحقّة في تذكير أعدائه مع رسول الله (ﷺ) وشدة بأسه، يقول «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، لَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا...»^(٦٩).

إن أمام الإيمان بالله تسقط كل الاعتبارات من القرابة وغيرها؛ إذا كانوا كافرين بالدين الحنيف. وفي هذه الموازنة بين الموقفين موقف رسول الله (ﷺ) وصحابته، وموقف



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

بعض صحابة أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه، وهذا مما لا يقبله عقل، وفي هذا النص الشريف نراه يتحول وليقينه ببطلان ما يدعون، وكذب ما يفترون عليه جاء كلامه الشريف حجة تدمغهم، وهو قوله (عليه السلام):

«أَبْعَدَ إِيْمَانِي بِاللّهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ (ﷺ)، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» (٧٠).

وهذا استفهام إنكاري، وهو يحتج بإيمانه الراسخ بالله سبحانه، الذي بدأ فيه بالإيمان بالله؛ لأنه أول من صدقه وغمر قلبه به، وقد قدم لأجل هذا الإيمان كل ما يملك في هذه الدنيا حتى استقام الإسلام بسيفه، إذ إنه بذل مهجته بذات الله بعدما كشف الهموم والغموم عن وجه رسول الله (ﷺ) في حياته كلها، مما حدا به أن ينكر عليهم ما تقولوه عليه، وهو الإمام المنصوص عليه، والسابق المقدم، وهم يريدون أن يشهد على

لقد جاءت الألفاظ فيها منسجمة موائمة، فقد اشتق المصدر (مآب) ويعني العودة والرجعة من الفعل الأمر المتقدم (فأبوا) وقد اكتسبت هذه الحالة السيئة شدة وقوة من الاسم المضاف وهو أفعل التفضيل

(شر) الذي أسندت إضافته إلى المصدر، فهو أقصى غاية لهذا الرجوع أو المال، وكذلك عطف العبارة الثانية (وأرجعوا على أثر الأعقاب) لتوكيد الكلام السابق لها وتقويته، فألفاظها تدل على الانتكاس والرجوع والقهقري إلى الخلف والوراء، مما يدل على العمى والعمى والتهيه والضلال وهي أشياء تقف مجتمعة أمام القوم فتمنعهم التقدم نحو الإمام والمستقبل والانفتاح على الحياة، وإعمام الخير والنفع، وقد جاءت الإضافة في قوله (عليه السلام) (أثر الأعقاب) شديدة قوية مؤثرة في نفوسهم راجعة بهم إلى العهد الأول، محققة معنى بالغاً في الدقة؛ لأن اللفظين (الأثر والعقب) يعني كلاهما الرجوع إلى الشيء، عن طريق ذلك. فقد اتحد المعنى وقوي بإضافة أحدهما إلى الآخر، فاندمج الاسمان بهذا المعنى الدقيق، ولشدة

ارتباطه مع الله وذوبانه في ذاته واقتترانه وارتباطه الشديد برسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينفك عنه في أي حال من الأحوال، وهو في كل هذه الأمور يفترى عليه، نجده يضمن خطابه ذلك على القوم لسوء فعلهم، كما جاء في قوله (عليه السلام): «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آبَرٌ، أَبْعَدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَجَهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَهِدِّينَ». فحينما يعلم متيقناً وقاطعاً في الأمر بما انطوت عليه نفوس القوم تجاهه، يدعو عليهم بالزوال والفناء بقوله: «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ آبَرٌ». والخاصب هو «الريح الشديد التي تثير الحصباء»^(٧٢)، وجاء تعبيره (عليه السلام) في قوله: «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ» داعياً عليهم بالهلاك والفناء والإبادة؛ لأنه قد انقطع رجاءه منهم، ومن رجوعهم إلى طريق



من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

الهدى، وقد جاء الدعاء بصيغة الفعل الماضي، وإن كان الدعاء يفيد الاستقبال، لكنه (ﷺ) عبّر بالماضي، لأن صورة الهلاك قد حلت ووقعت بهم، وانقطع أمرهم، وصار فيهم متحققاً، وكأن في هاتين العبارتين يلمح فيهما التمني باستئصالهم إذ بلغ هذا الدعاء عليهم مبلغاً قوياً فجاء بأشد وطأة عليهم، أي أراد ألا يبقى منهم باقية، وقد روي لفظ (آبر) في قوله (ﷺ) «ولا بقي منكم آبر» أو (آبر)، والآثر هو من قولهم «رجل آبر للذي يأبر النخل، أي يصلحه»، ورواية (آثر) الذي رجحها ابن أبي الحديد فيراد به الذي يآثر الحديث، أي يرويه ويحكيه^(٧٣)، وتقدمت عبارة (أصابكم حاصب) على عبارة (ولا بقي منكم آبر)؛ لأن الأولى سبب في الثانية؛ ولأن الفناء الواقع عليهم هو بسبب الريح العاصف التي تثير الحصباء، إذ إنها تحدث ثم يقع

العذاب عليهم ولعل في العبارة الثانية ما يؤثر عن العرب (لا بقي منكم آبر) مثل يراد به الاستقصاء في زوال الشيء، والزيادة فيه والمبالغة في القول، وقد استعمل القرآن (الحاصب) في الأقوام المرسل عليها العذاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

الارتباط الوثيق برسول الله (ﷺ):

في خطابه (ﷺ) الموجه إلى أصحابه بَيَّنَّ قرابته من رسول الله (ﷺ) وانتسابه إليه، يقول (ﷺ): «اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ»^(٧٤)، يريد بذلك تثبيت قلوب الجند الذين يواجهون العدو، فيجلب عليهم الطمأنة والسكينة، والثبات ويعلمهم بموضعهم من الحق؛ لأنهم يدافعون عن إعلاء كلمة الله فيذكرهم بالقرابة النسبية والروحية من رسول الله (ﷺ) في قوله: «وَمَعَ ابْنِ عَمِّ

رَسُولِ اللَّهِ» لما هو وارد في ذلك من
الأحاديث الشريفة في حقه كحديث

المنزلة.

وبسبب ما وقع على أمير المؤمنين
(عليه السلام) وأهل بيته من حيف ومشقة
بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنهم يشعرون
بالوحشة فهو يتوجه برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
في الدعاء، فيقول «اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو
غَيْبَةَ نَبِيِّنَا»^(٧٥)، إذ يريد بقوله هذا
إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أماناً بينهم
وبين المسلمين، حيث يقولون «كنا إذا
اشتدت الحرب نلوذ برسول الله».

فحضوره (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم كان
يمدهم العزيمة والقوة مع الصحابة
المصطفين ولا شك أن رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) حاضر في نفس أمير المؤمنين
(عليه السلام)، بل هو نفسه التي بين جنبيه؛
لأنهما نفس واحدة كما عبر القرآن
الكريم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ

أ. د. سالم يعقوب السلمي
اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:
٦١].

إبراز مواقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عبر

مواقفه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

قال (عليه السلام): «أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَعْجَبَ
العجائب أَنَّ معاوية بن أبي سفيان
الأموي وعمرو بن العاص السمي
أصبحا يحرضان الناس على طلب
الدين بزعمهما، ولقد علمتم أني لم
أخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قط بنجدة
أكرمني الله سبحانه بها، وله الحمد،
ولقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان
رأسه لفي حجري، ولقد وليت
غسله بيدي وحدي، تقبله الملائكة
المقربون معي، أيم الله ما اختلفت
أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل
باطلها على أهل حقها إلا ما شاء
الله».

الخاتمة

أراد الإمام في كلامه الشريف أن
يبين مكانته ومنزلته ومقامه الحقيقي





من مقامات النبي الأكرم محمد (ﷺ) في نهج البلاغة، دراسة تحليلية.....

الذي لا لبس فيه عبر مواقفه طوال حياته مع رسول الله (ﷺ) وهو في هذه المفاضلة بينه وبين أعدائه المدعين الدين والإسلام يؤكد هذه الحقيقة بمخاطبتهم بهذه المؤكدات اليقينية في قوله «ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله (ﷺ) قط ولم أعصه»، لقد اشتملت عبارته المتقدمة على نفي المخالفة والمعصية لرسول الله (ﷺ) ولعل جملة «لم أخالفه» المتقدمة على جملة (ولم أعصه) لما فيها من الشمول والعموم، إذ قد تكون المخالفة عامة تشمل الشيء اليسير والبسيط، والشيء الكبير، أما المعصية فهي لا تصدق إلا على الشيء الكبير، ثم ربط كلامه بما بعده، لتكون الطاعة سبباً في بذل نفسه عنه، وهو يقيه في المواقف الشديدة العصبية،

إذ قال: «أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص»، وقد جعل مواقفه هذه شرفاً ومكرمة من الله قد منَّ الله بها عليه وهو يقدم لرسول الله (ﷺ) هذه النجدة وهذا الفداء، حيث يقول «بَنَجْدَةٍ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَ». ثمَّ أراد أن يبين قربه الروحي والنسبي منه (ﷺ) فهو لم يغادره، بل هو ملازم له، وهذا ما أكدته كتب السير والحديث في ملازمته له.

ما دونته وأثبتته في هذا البحث إنما هو الشيء القليل من كلام أمير المؤمنين (ﷺ) في بيان المنزلة والمقام الرفيع، الذي أردنا أن نشير عن طريقه إلى المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة في النهج المبارك عن طريق اللغة وعلاقاتها وترابط أجزائه.

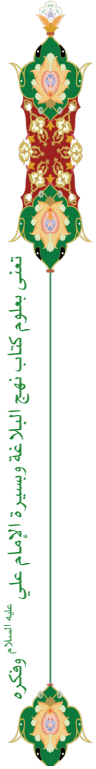
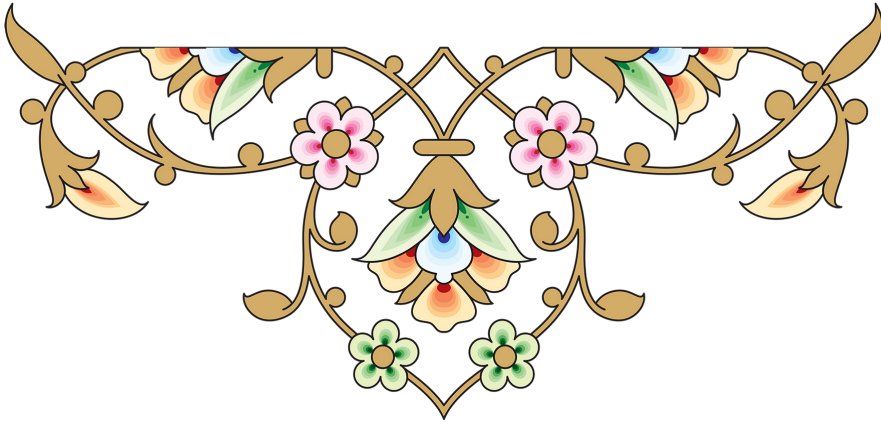
الهوامش:

- ١٤٢.
- (١) الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليه السلام) في كتاب الاحتجاج - دراسة تداولية ٤٢.
- (٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٣٩ - ١٤٢.
- (٣) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص): ٢ / ١١٠٩.
- (٤) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٥٥.
- (٥) راجع الآيات في: الكهف: ١، مريم: ٢، البقرة: ٢٢١، ق: ٨.
- (٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢.
- (٧) الفروق اللغوية: ٢٩٩.
- (٨) التحليل النحوي أصوله وأدلته: ٢٥٩.
- (٩) البلاغة والأسلوبية: ٢٣٥.
- (١٠) ينظر: نظرات في قضايا اللغة العربية: ٥٨ - ٥٩.
- (١١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ١٤٢.
- (١٢) الفروق اللغوية: ٣٤٨.
- (١٣) ديوان الأدب (فعل يفعل): ٣٦٤، وينظر: اللسان (لمع): ٨ / ٣٢٤، الفروق اللغوية: ٣٥٠.
- (١٤) ديوان امرئ القيس: ٧٢.
- (١٥) الفروق اللغوية: ٣٥٠.
- (١٦) ديوان الأدب (فعل - يفعل): ٣٦٣.
- (١٧) اللسان (صدع): ٨ / ١٩٤ - ١٩٦.
- (١٨) التحليل النحوي، أصوله وأدلته: ٢١١.
- (١٩) الكشف: ٢ / ٣١٤.
- (٢٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢.
- (٢١) بناء الجملة العربية: ٦١.
- (٢٢) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٧٦ - ١٧٧.
- (٢٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢.
- (٢٤) عمدة الحفاظ: ٤ / ٧٠ (مثل).
- (٢٥) التقابل الجمالي في النص القرآني - دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: ١٤٣.
- (٢٦) المصدر السابق: ١٥٣ - ١٥٤.
- (٢٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢.
- (٢٨) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٨٤.
- (٢٩) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٢.
- (٣٠) اللسان: ٥ / ١٩٣ (نجر).
- (٣١) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٨.
- (٣٢) التقابل الجمالي في النص القرآني - دراسة جمالية فكرية وأسلوبية: ١٦٦.
- (٣٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٣.
- (٣٤) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم: ١٧٩.
- (٣٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٤٤.
- (٣٦) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١٤٦.
- (٣٧) المصدر نفسه: ١ / ١٤٤.
- (٣٨) مسند أحمد بن حنبل: ٣ / ١٤؛ وينظر:

- صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢-١٢٣؛ ونيل الأوطار: ٢٨٤.
- ٣٢٨ / ٢ (٥٣) المشيرات المقامية في القرآن: ٥٦-٥٧.
- (٣٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / (٥٤) مفردات ألفاظ القرآن (قبض): ٦٥٢، وينظر: اللسان (قبض): ٧ / ٢١٣-٢١٤.
- ٢٨٣ (٤٠) المصدر نفسه: ١ / ٢٥٣.
- (٤١) ينظر: زاد المسير: ١٩٩.
- (٤٢) نظم درر السمطين: ١١٣؛ وينظر: فتح الباري: ٥ / ٢٧٠؛ وكنز العمال: ١٣ / ١١٤-١١٥.
- (٤٣) الضمير بنيته ودوره في الجملة: ٩١ عن كتاب المشيرات المقامية في القرآن: ١٢٧.
- (٤٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / (٦٠) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٣٦ (سوق) واللسان: ١ / ١١٦ (سوق).
- (٦١) ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٥٢-١٥٣.
- (٦٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / (٦٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢٢٣.
- (٦٤) توجيه اللمع: ٢٥٠-٢٥١.
- (٦٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / (٦٦) البيان والتبيين: ١ / ٨٧.
- (٦٧) ينظر: السياق والمعنى - دراسة في أساليب النحو العربي: ١٣٦.
- (٦٨) ينظر: تفسير سورة الماعون: ٢٩-٣٠، ومقاصد التعبير القرآني - دراسة في قصار السور: ٤٤-٤٦.
- (٦٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢ / (٥٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٩٠.
- (٥١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ١٧٥-١٧٦.
- (٥٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٩٠.



-أ. د. سالم يعقوب السلمي
- (٧٠) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤.
- (٧١) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤.
- (٧٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩٨ / ٤.
- (٧٣) المصدر نفسه: ٩٨ / ٤.
- (٧٤) المصدر نفسه: ١٣٦ / ٥.
- (٧٥) المصدر نفسه: ١٤٩ / ٥.



- جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة (ط ٣) ٢٠١٠ م.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي - بيروت (ط ٢) ٢٠٠٧ م.
- الخطاب الحجاجي لأهل البيت (عليه السلام) في كتاب الاحتجاج - دراسة تداولية، عبد الحسن علي حبيب الناصر، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة البصرة ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.
- ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (٣٥٠ هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، الشركة المصرية العالمية (ط ١) ٢٠٠٣ م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - بمصر (ط ٢) ١٩٦٤ م.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي - دار ابن حزم - بيروت (ط ١) ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- السياق والمعنى - دراسة في أساليب النحو العربي، د. عرفات فيصل مناع، مؤسسة السيّاب - لندن (ط ١) ٢٠١٣ م.
- شرح نهج البلاغة، لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتاب العربي - بغداد (ط ١) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر -

- القرآن الكريم.
- استراتيجيات الخطاب، مقارنة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد - بيروت (ط ١) ٢٠٠٤ م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المؤسس العربية - تونس (ط ١) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- البلاغة والأسلوبية - محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة (ط ٣) ١٩٩٤ م.
- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب - القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي - بالقاهرة (ط ٧) ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- التحليل النحوي - أصوله وأدلتها، د. فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة (ط ١) ٢٠٠٢ م.
- تفسير سورة الماعون - السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات - بيروت (ط ١) ١٩٩٩ - ١٤١٩ هـ. ق.
- التقابل الجمالي في النص القرآني - دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، د. حسين نعمة - دار النمير - دمشق (ط ١) ٢٠٠٥ م.
- توجيه اللمع، أحمد بن الحسين بن الخباز، تحقيق فايز زكي محمد، دار السلام - القاهرة

- بيروت، د. ت.
- الضمير بنيته ودوره في الجملة- الشاذلي الهيشري، رسالة دكتوراه، تونس- كلية الآداب منوبة ١٩٩٨ م، عين المشيرات المقامية في القرآن- منى الجابري، الانتشار العربي- بيروت (١ ط) ٢٠١٣ م.
- علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان- بالقاهرة (١ ط) ١٩٩٧ م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ- معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي (٧٥٦ هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت (١ ط) ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (٤٠٠ هـ) تعليق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت (٤ ط) ٢٠٠٦ م- ١٤٢٧ هـ.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة- بيروت، د. ت.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت (٢ ط) ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.
- كنز العمال، المتقي الهندي، ضبط الشيخ بكر حيّاني- مؤسسة الرسالة- بيروت، د. ت.
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور- دار صادر- بيروت (٦ ط) ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م.
- مسند أحمد بن حنبل، دار صادر- بيروت، د. ت.
- المشيرات المقامية في القرآن، منى الجابري، دار الانتشار العربي- بيروت (١ ط) ٢٠١٣ م.
- مفردات ألفاظ القرآن- الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، انتشارت ذوي القربى، قم (٣ ط) ١٤٢٤ هـ.
- مقاصد التعبير القرآني- دراسة في بعض قصار السور القرآنية، د. فاخر هاشم الياسري، دار الحامد- الأردن- عمان (١ ط) ٢٠١٦ م- ١٤٣٧ هـ.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية- د. مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان- القاهرة (١ ط) ١٩٩٧ م.
- نظرات في قضايا اللغة العربية، د. فاخر هاشم الياسري، دار الحامد- الأردن- عمان (١ ط) ٢٠١٦- ١٤٣٧ هـ.
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خري، الدار العربية للعلوم- ناشرون، منشورات الاختلاف (١ ط) ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧ م.
- نيل الأوطار، الشوكاني، دار صادر- بيروت، د. ت.
- نظم السمطين- الزرندي الحنفي، القسم العام (١ ط) ١٣٧٧ هـ- ١٩٥٨ م.

